_ عصر النهضة الأوربية دراسة في الخصائص والمظاهر والنتائج (المحاضرة الأولى)

تعد النهضــة الأوربية حركة انتقالية بين العصــور الوسـطى والعصــور الحديثة. وقد أطلق المؤرخون هذه التسمية على الفترة التي تتوسط العصور الوسطى والعصور الحديثة والتي تشمل القرن الرابع عشر.

وقد ظهرت هذه الحركة في أول الأمر في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر ولم تظهر في دول أوربا الأخرى ألا بعد ذلك بفترة من الزمن.

وقد تميزت حركة النهضـة بالتأثير بالمفاهيم الكلاسيكية وبازدهار الأدب والفن وتعني النهضـة من الناحية الأدبية عصر أحياء التراث الأدبي القديم.

لقد كان احد أوائل الشــعراء والأدباء دانتي الايطالي وهو كبير شــعراء ايطاليا صــاحب مؤلف (الكوميديا الإلهية) الذي يعد دعامة من دعائم الأدب العالمي (أســـاس فكرة الكتاب عن زيارة خيالية قام بها للجنة والجحيم).

أما من الناحية التاريخية فان النهضــة تدل على انهيار النظام الإقطاعي ونشـوء القوميات الحديثة وتطور النظم الملكية.

وتعتبر حركة النهضة أيضا حركة يقظة الوعي السياسي في المجتمعات الأوربية وقد وصلت ذروتها في قيام الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وسمات هذه النهضة هي علمانية جاءت بمفاهيم جديدة قام بها أفراد الطبقة الوسطى ،ولم تظهر النهضة في جميع البلاد الأوربية في وقت واحد، بل ظهرت في ايطاليا ومنها انتقلت إلى غرب أوربا.

مع العلم أن النهضة توقفت في ايطاليا في القرن السادس عشر بسبب تعرضها إلى الغزو الفرنسي أواخر القرن الخامس عشر وتحديدا عام ١٤٩٤ وهذا الأمر خلف الكثير من الدمار والخراب للبلاد.

أسباب ظهور النهضة الاوربية في إيطاليا قبل غيرها

١- مظاهر النهضة لم تقتصر على بلد دون اخر،كذلك تطورها لم يجري في وقت واحد وحتى انتهائها لم يحدث في وقت واحد، اذ اختلفت هذه الامور حسب ظروف البلدان الأوربية. لكن يوجد نوع من الاجماع على اعتبار ايطاليا مهدا للنهضة والحركة الانسانية، فقد ادت مجموعة من العوامل تفاعلت فيما بينها لتؤدي الى ظهور افكار النهضة في ايطاليا قبل غيرها،ان ايطاليا ازدهرت في اواخر العصور الوسطى فمنذ القرن الحادي عشر اصبحت اقتصادياتها تعتمد على التجارة الخارجية، وارتفعت طاقة حمولتها في

حوض البحر المتوسط فاحتكرت ايطاليا التجارة الأوربية مع الشرق الذي وجدت بضائعهم النادرة من توابل وعطور وحرير ومصوغات ذهبية سوقا رائجة لها في اوربا.

فلم ينتهي القرن الثالث عشر حتى نجد ان ايطاليا اصبحت تحتل مكان الصدارة في مختلف حياة القارة الأوربية الاقتصادية والاجتماعية وتقدمت مدنها وازدهرت تجارتها مثل البندقية وفينيسيا وجنوة وفلورنسا فظهرت في فلورنسا (كبرى المؤسسات الصيرفية الجديدة) ومن مظاهر الازدهار الفلورنسي ان تضاعفت اعداد السكان ومعظم العوائل الإيطالية الحاكمة اصبحت على ارتباط كبير بالتجارة والصناعة وتهتم بهاتين الناحيتين اكثر مما تهتم بالزراعة والارض وخير دليل على ذلك (اسرة مديتشي التي كانت تحكم فلورنسا). يتضح ان عملية انحلال العلاقات الاقطاعية بدات في ايطاليا قبل غيرها وان الغرق بين ايطاليا ودول اوربا الشمالية هو ان الاقطاعية لم تتل من ايطاليا تماما كما ان ايطاليا رفضت المؤسسات الاقطاعية بوقت مبكر.

٢_هذه البلاد (ايطاليا) لم تكن مجرد حلقة وصل تجارية بين الشرق واوربا حسب بل شكلت ايضا حلقة وصل ثقافية مهمة بين الشرق واوربا. فعن طريق ايطاليا انتقلت افكار ومظاهر حضارية شرقية تركت اثار كبيرة على معالم النهضة الاوربية ترجع الى كيف تعرف الاوربيين على النهضة وترجع الى الحروب الصليبية التي أثرت في نقل مقومات حضارية كثيرة نقلتها من الشرق الى اوربا وانعكست هذه المقومات بالنهضة، فقد اقامت جنوة مراكز تجارية لها في سوريا وفلسطين ووكلاء تعرفوا على حضارتهم ونقلوها الى اوربا.

٣_ان ايطاليا تعتبر اهم مراكز للكنيسة والعالم المسيحي جميعه مما اثر على ظهور وتطور النهضة في قطبين متناقضين الى حد ما ،ذلك الى جانب كبير من افكار النهضة انصب على الكنيسة الكاثوليكية ،جميع النواحي السلبية التي اثارت استياء كبير في نفوس الاوربيين من جهة ومن جهة ثانية فقد بدأت الكنيسة تخشى ان تفقد تأثيرها في المجتمع الاوربي نتيجة التحولات الجديدة التي رافقت النهضة فحاولت جذب بعض رجال النهضة الى جانبها واهتم عدد من البابوات بدراسة أفكار الانسانية وكان من هؤلاء البابوات هو البابا (نيقولا الخامس) (١٤٥٥-١٤٤٧) وعرف هذا البابا بأفكاره المتحررة والذي قام بنشر وكلاء في ارجاء القارة الاوربية وذلك بهدف جمع اكبر عدد ممكز من المخطوطات والاحتفاظ بها في مكتبة الفاتيكان فتحولت هذه المخطوطات الى ثروة كبيرة مما ادى الى احياء التراث القديم وتشجيع الانسانيين في مساعيهم.

٤_كانت ايطاليا مهدا للثقافة الرومانية القديمة التي اعطت التطور الحضاري الإنساني الشيء الكثير مما تحول الى حافز معنوي مهم لرجال الفكر الطليان الذين لم يفقدوا كلياً اتصالاتهم بماضي شعبهم العريق وخصوصا وان بلادهم احتفظت بأثار الماضي أكثر من اي بلد اخر.

٥_عرفت ايطاليا بجمال طبيعتها التي اغنت لغتها الدارجة وادب شعبها مما تحول الى مصادر طاقة لإبداعات ابنائها الخلاقة لشتى حقول النتاج الفني والادبي وانما أصبح شعبها متذوق يتذوق هذا النتاج بأشكاله المختلفة.

٦_لم تنتشر الحركة المدرسية في ايطاليا والمقصود بالحركة المدرسية هي نهضة القرن الثاني عشر وكذلك لم تتأثر بالنمط الغوطي في البناء والاهم من كل هذا ان التعليم في ايطاليا كان تعليما مدنيا بصورة عامة في الوقت الذي كان التعليم كنسياً في بقية انحاء اوربا ومن كل ذلك نستنتج ان التقاليد في العصور الوسطى كانت ضعيفة في ايطاليا ونتيجة لكل هذه العوامل ظهرت النهضة وتبلورت مقوماتها في ايطاليا قبل غيرها.

٧_ان ايطاليا لم تقبل بمملكات متحدة ولا بحكم الامبراطور الالماني.

٨_ان هذه الاسباب بمجملها جعلت حركة النهضة الاوربية تظهر في ايطاليا قبل غيرها من الدول الاوربية الاخرى.

مظاهر النهضة الاوربية:(المحاضرة الثانية)

ان من اهم مظاهر عصر النهضة الاوربية الحديثة تمثلت بحركة أحياء التراث اليوناني الروماني وبعث الحضارة الكلاسيكية القديمة.

فقد كانت الطباعة وسيلة لنشر المعرفة في ذلك الوقت والتي عرفت (بالحركة الكلاسيكية او احياء الحضارة اليونانية والرومانية القديمة) ويقصد بها بشكل عام هي محاولة العودة الى التراث اليوناني والروماني لدراسته والتعرف على مافيه من علم ومعرفة وتعد هذه الحركة من ابرز مظاهر عصر الانبعاث (Renaissance) ظهرت هذه الحركة في القرنين الاخيرين من العصور الوسطى (١٣٠٠-١٥٠٠) عندما اخذ المثقفون في المدن يهتمون بالتنقيب عن الاثار والمخلفات الادبية اليونانية والرومانية القديمة ودراستها والاستفادة منها.

في فنون متعددة كالرسم والنحت إذ ان مفكري عصر النهضة كانت صورة الانسان عندهم تمثل القوة والايمان بالذات والثقة بالنفس ،فهو شاعر وقنان واديب ومتذوق للفنون والاداب.

اما قبل ذلك فقد كانت الكنيسة ترى في تراث القدماء صورة للوثنية وبالتالي فانها لاتقر بالافادة من احيائه لما في هذا التراث من قيم وفلسفات ومثل لاتقرها المسيحية او الكنيسة، الا ان تكاثر المدارس والجامعات وظهور طبقة المتعلمين والمثقفين في المدن في اواخر العصور الوسطى قد حطم الحصار الذي فرضته الكنيسة ،كذلك كان للعرب المسلمين في الاندلس دور كبير في توجيه المثقفين والمتعلمين نحو اثار اليونان القدماء بما ترجموه المثقفين والمتعلمين عن اليونانية الى اللغة العربية ومن ثم الى اللاتينية واطلعوا على شروح وتعليقات علماء العرب وفلاسفتهم بهذه المحاولة بعثت الرغبة فيهم بالاتصال بالحضارة اليونانية والرومانية القديمة من مصدرها الاصلي الاغريقي والروماني.

وبدأت حركة احياء التراث بالبحث عن المخطوطات اليونانية واللاتينية وجمعها ودراستها فساهم حكام المدن الايطالية الاثرياء في هذه الحركة بتشجيع الباحثين ماديا وقد تنافست الأسر المتنفذة في ايطاليا في اقتناء المخطوطات وهاجر عدد من الايطاليين الى القسطنطينية للبحث عن تلك المخطوطات ولدراسة اللغة اليونانية والتعمق في فنونها وقواعدها ونشطت حركة الترجمة وترجمت الكثير من مؤلفات (افلاطون وارسطو وسقراط) من اليونانية الى اللاتينية والايطالية، فلا شك ان سقوط القسطنطينية في عام ١٤٥٣م بيد العثمانيين على يد (السلطان محمد الفاتح) ادى الى نشاط حركة احياء التراث.

فالعلماء الذين وفدوا الى ايطاليا من بيزنطة شاركوا في هذه الحركة ونشر التراث اليوناني فيها وأدت هذه الحركة الى تغيير نظرة الناس الى نتاج الرومان واليونان القدماء فأصبح لهم تراث فكري قائم بذاته يمكن فهمه والتعمق في دراسته للتعرف على ما كان عند القدماء من افكار ومعان انسانية بغض النظر عما اذا كانت هذه الافكار منسجمة او غير منسجمة مع المعتقدات الدينية مع عصر النهضة وامام ازدياد هذه الحركة اضطرت الكنيسة ان تتخلى عن مواقفها المتزمتة وقدمت بمبادرة من البابا نفسه على المشاركة في حركة احياء التراث.

من جانب اخر جعلت تاثير الفكر اليوناني والروماني في الفكر المسيحي محددا في الإطار العقائدي وكان الدافع في هذا هو خوف روما من ان تصبح احدى المدن الايطالية عاصمة للفكر الحديث فتنافسها في زعامتها لذا نجد ان النصف الثاني من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر جمعوا البابوات حولهم في روما العديد من رجال العلم والادب لدراسة التراث.

ومن اشهر من عمل في بعث الحضارة الكلاسيكية في الادب في ايطاليا هو فرانشسكو بترارك (١٣٧٤-١٣٠٦م وجيوفاني بيكاشوا (١٣١٣-١٣٧٥) اللذان اهتما بالأدب اللاتيني القديم وكتبا باللغة اللاتينية من

ضمن مظاهر النهضة الحركة الانسانية هو مظهر اخر من مظاهر التعليم الكلاسيكي القديم، فهذا التعليم مبني على الاعتقاد ان عظمة الحضارة الكلاسيكية في كونها جاءت بمفاهيم انسانية.

الحركة الانسانية :(Humanity)

ارتبطت هذه الحركة باحياء التراث وارتبط اسم الانسانيين بهذه الحركة لان المعنيين بها اهتموا دراسة الانسان وهذا امر جديد لم يكن مالوفا وذلك لان العصور الوسطى تناست انسانية الانسان اي انها كانت تركز على افكار التقشف والزهد والصوم واذلال الجسد واهماله والاهتمام فقط بالروح وبعلاقة الانسان بالخالق فلم يكن هناك داعي لاظهار مفاتن الجسد والانسان بطبيعته متعشق للجمال اينما وجد سواء كان هذا الجمال موجود بالروح او الجمد ومتمسكا بمبادئ الاخلاق والخير.

فالإنسانيين عند دراستهم للتراث أكدوا على قيمة الانسان بما يتوافق مع نظرتهم الانسانية الجديدة وقد ظهرت حركة الانسانيين لأول مرة في ايطاليا وملها انتشرت الى المدن الاوربية الاخرى خصوصا فرنسا وانكلترا وهولندا والمانيا.

ويعتبر (فرانشيسكوا بتزارك) رائد الحركة الانسانية في ايطاليا وله الفضل في بعث الفكر القديم وخاصة اللاتيني وقد ولد فرانشيسكوا في فلورنسا في بداية حياته درس القانون في مونوبليه لكنه لم يستسغ تلك الدراسة ابدى اهتمامه الى دراسة الادب القديم فدرس تاريخ روما وتعرف على آدابها واجاد الكتابة بأسلوب مفكريها ،وكرس حياته للتعليم ولدراسة الأدب بتنظيم بعض المقطوعات الشعرية باللغة الايطالية ولكنه انصرف الى اللغة اللاتينية القديمة وشجع ابناء وطنه على دراسة الكلاسيك وكان بترارك يرى ضرورة ان الانسان يجب ان يهتم اولا بحياته قبل ان يوجه اهتمامه الى اشياء تخص الحياة أو العالم الاخر ويؤكد على الاهتمام بالإنسان وبرغباته وذلك بتامين عيش هنيء له وتنمية قابليته دون التزهد ونكران الذات في سبيل الاخرة.

وقد شارك جيوفاني بيكاشوا حماس بترارك الى الادب اللاتيني القديم وايضا بيكاشوا كتب باللغة اللاتينية أسوة بيترارك وشاعت الكتابة باللغة اللاتينية في ايطاليا اولا في القارة الاوربية خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر وبحلول القرن السادس عشر كانت دراسة اللغة والادب اليوناني واللاتيني القديم منتشرة في اوربا واخذ التعليم الجديد يحل محل التعليم القديم المبني على الحركة المدرسية في القرن الثاني عشر من المظاهر الاخرى اختراع الطباعة وانتشار المعرفة.

وكان الناس ينسخون الكتب باليد لهذا لم يكن اقتناء الكتب بمقدور كل شخص، فكانت المكتبات خاصة بالاثرياء وكانت العملية المنتشرة في العصور الوسطى ان يحفر الحروف في الالواح الخشبية او الحجرية بصورة معكوسة ويضاف بعد ذلك اليها الحبر وكانت الحروف المحفورة تترك اثارا واضحة. على المادة المطبوعة.

وكانوا الملوك والامراء يحفرون تواقيعهم على الاخشاب او المعادن لتوقيع الوثائق والمستندات وقد تطورت هذه الطريقة الى سبك الحروف المتفردة من المعادن ومن نفس الحجم وبالشكل الذي يراد ان يطبع به وكانت فائدة الاحرف المتحركة هي انها يمكن استخدامها دائما بتنظيم وترتيب الحروف ولكننا لا نعرف من الذي اوجد هذه الالية والمعروف ان (كونميرك) كان يستخدم الحروف المتحركة للطباعة.

كما تشير بعض المصادر التاريخية وجود الاحرف المتحركة للطباعة في مدينة (مينز الامانية) منذ عام ١٤٥٠ وأقدم المخطوطات المطبوعة هي رسائل الغفران وترجمة الانجيل طبعها كونميرك في مطبعته ١٤٥٤ على أثر ذلك انتشرت الطباعة في المانيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر.

اسس البابا مطبعته في اوربا في عام ١٤٦٦ وصار نشر الكتب حرفة ذلك الوقت.

النهضة الفنية: (**الفن في عصر النهضة**) (**المحاضرة الثالثة**)

لقد نظر فنانوا عصر النهضة الرغبة الشديدة للحضارة والاعجاب والحضارة الكلاسيكية وكان الفن في العصور الوسطى مطبوع بطابع ديني وان الكاتدرائيات المبنية على الطراز الغوطي وصور القديسين لكن الانسانيون اظهروا للناس فنون اقدم من ذلك امتازت بالبساطة والجمال وبعدم التكلف، لكنها كانت متأثرة بالكلاسيكية القديمة وكانوا المصورين والنحاتين والبنائين الذين هم (المعماريون) يهتمون اهتمام كبير باظهار نماذج مهمة من الفن على غرار الفن اليوناني والروماني القديم وبعصر النهضة امتزج الفن المسيحي بالفن الكلاسيكي في القضايا المسيحية فكانت النتيجة ابتكار فن عظيم هو فن عصر النهضة الذي يمتزج بين النزعة الكلاسيكية وبين المسيحية وقد ظهرت النهضة الفنية في ايطاليا منذ وقت مبكر وتحديدا من القرن الخامس عشر وادت المدن الايطالية دور هام في تقدم الفن لانها كانت تعتبر مركزا للحياة الفنية وكانوا اي حكامها يتنافسون فيما بينها للظهور بمظهر رعاة الفن وكانت روما في مقدمة المدن الايطالية التي احتضنت الفن والفنانين ويمكن ان تعتبر العمارة والفن والنحت الاساس الذي ارتكزت عليه النهضة الفنية في ايطاليا.

فن البناء :

لقد حل الفن اليوناني والروماني في البناء محل الفن الغوطي واخذت الاقواس اليونانية والقباب الرومانية تحل محل الابراج المدببة وأبرز مثال للبناء الجديد بناء كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان والتي شيدها أبرز فناني القرن السادس عشر وهم (روفائيل ومايكل انجلو).

فن النحت:

هذا الفن يلازم فن البناء والذي شجعته هي عائلة (مديتشي) في فلورنسا على دراسة فن النحت والتماثيل دراسة علمية وكانت ترغب في جمع نماذج كبيرة ومؤثرة في الفن القديم ومن أشهر النحاتين النحات دوناتيالو (١٤٦٦-١٣٨٣م) ويعتبر من أشهر فناني عصر النهضة وقد نحت تمثال سانت مارك في فينيسيا وهذا التمثال ذو طابع واقعي ويعتبر دوناتيالو رائد للحركة او المدرسة الطبيعية حيث ابرز في اعماله جمال الطبيعة وتناسق الاجساد وتعابير الوجه وسعى الى جعل تمائيله طبيعية بعيدة عن التكلف ومن اشهر نحاتي عصر النهضة الذين تاثروا بمايكل انجلو (١٤٧٥-١٥٦٤م) الذي ولد في فرنسا واصبح رسام عظيم ونحات ومهندس معماري وحتى قيل انه كان فيلسوفا وشاعرا ومتائرا بالمدرسة الطبيعية وتاثر بالمدارس الاغريقية والفلسفة اليونانية وكان دائما يبرز في اعماله القوة والعظمة موكدا على العضلات وموضح تقاطع الجسم ومحاول أعطاء الاشخاص تعابير جمالية مثالية وهو اشتهر بالنحت والتصوير والبناء وكان تمثاله (للنبي داوود) في فلورنسا من اشهر اعماله وكان هذا التمثال منحوت من الرخام ويعد قطعة فنية رائعة للطراز الكلاسيكي ومن اشهر اعماله ايضا بناء كنيسة القديس بطرس وكانت رسوماته موجودة فيها وهذه الرسومات تؤكد لنا الخليقة والطوفان ويوم الحساب وجدرانها تعتبر من الرسوم الفريدة في العالم.

فن التصوير أو الرسم:

هذا الفن تطور بشكل كبير في عصر النهضة في اوربا فقد كانت الصور ترسم على جدران البيوت والكنائس وترسم بشكل مباشر او على الاقمشة وتكون بالالوان المائية اما في القرن السادس عشر اصبح الرسم على الالواح والاقمشة وبدات تستعمل الالوان الزيتية وبهذه الطريقة وصل فن التصوير درجة كبيرة من الرقي والكمال وقد ظهر اربع رسامين عظام في القرن السادس عشر هم (ليوناردو دافنشي ورفائيل ومايكل انجلو وتيتيان).

ولد ليوناردو (١٥١٩-١٤٥٢) في فلورنسا ونشا فيها ويعتبر من ابرز فناني ورسامي عصر النهضة واشهر رسوماته هو العشاء الرباني الاخير او العشاء المقدس وهذه اللوحة تمثل الموقف الذي جمع المسيح (عليه السلام) مع تلاميذه وحواريه على مائدة العشاء وهذا المظهر الرائع الذي جمع المسيح وحواريه الاثني عشر

وهو يخبرهم ان احدهم سوف يخونه وقد ظهر وجه المسيح بصفاته الهادئة بينما ظهر في اللوحة على وجوه اتباعه الخوف والاضطراب والوجوم وقد رسم دافنشي في فلورنسا رائعته الشهيرة الموناليزا او (الجوكندا) وهذه الوحة تمثل فتاة بريئة من مدينة نابولي صورها او رسمها وهي تعتبر من ابدع واروع ما انتجه هذا الفنان لانها تمتاز بجودة التركيب.

كذلك الباحثين وطلبة العلم في بلدان اوربا الغربية اخذوا يترددون على جامعات ايطاليا واكاديمياتها على يد اساتذة ايطاليين وهؤلاء الاوربيون الغريون كانوا متأثرين بفكر النهضة الايطالية وأعجبوا بالتراث القديم وأعجبوا بعقلية الانسانيين.

بدا الانسانيين الايطاليين يتجولون في انحاء اوربا لنشر افكار النهضة وليعلموا الناس ادأب القدماء وفنونهم ولقد كان لهذه الاتصالات اثارها بحيث ان جامعات اوربية كثيرة بدأت تستدعي اساتذة ومحاضرين ايطاليين ليدرسوا طلبتهم فكر النهضة الايطالية وفنونها فهذه العوامل ساعدت على انتقال النهضة من ايطاليا الى اوربا.

وما ساعد على ظهور علماء اوربين في بلادهم هو (ارازمس) الذي كان له الفضل في نشر فكر النهضة في بلده هولندا وفي كل اوربا اذ اشتهر برسومه وفي الاصل هو إنسانيا درس علوم القدماء من يونانيين ولاتيذيين وحضارة عربية اسلامية ونقل ما تعلم الى الاوربين الغربين وتميز عن الانسانين الاوربين بانه اراد ان يجعل من الدراسات الانسانية وسيلة لتقويم المجتمع من شروره واراد اصلاح الكنيسة ورفع مستوى رجالها لانه مؤمنا بالمسيحية وبتعاليم المسيح وقد عمل على نشر الكتاب المقدس باليونانية مع ترجمة مبسطة باللاتينية وذلك لكي يطلع عليه عامة الناس وليعودوا كما يعتقد الى تعاليم المسيحية الصحيحة الاولى بما تمثله من بساطة وانسانية ورحمة وقد زار (ارازمس) اكثر جامعات اوربا الغربية وحاضر فيها واصبح له اتباع وتلاميذ يعملون مثله على الاهتمام بالدراسات الانسانية وذلك من اجل اصلاح الكنيسة وتقويم المجتمع فاصبح رائدا لمدرسة خاصة، وفن التلوين واظهار الظل والنور ومن المعروف ان دافنشي مارس النحت والعمارة والرياضيات والهندسة وكان يهوى الادب والموسيقى والشعر وعلم التشريح وبنى قلاع وحصن طويل حول مدينة ميلانو وقد قضى سنواته الاخيرة في فرنسا وشجع انتشار التصوير هناك الى جانب دافنشي كان روفائيل (١٥٢٠-١٤٨٣) قد تأثر بليوناردو دافنشي وبمايكل انجلو ويعتبر روفائيل هو ثالث الثلاثة الكبار من عمالقة الفن التصوير او الرسم في اثناء وجوده حد الكمال على يد روفائيل وقد دعاه البابا يوليوس الثاني للاشتراك في تزيين قاعات الفاتيكان واشتغل كمهندس في بناء كنيسة القديس بطرس وقد اظهر ميلا كبيرا نحو النحت والاثار وقد استطاع في ستة اشهر ان يصنع بالتصوير الجبسي على الجدران روائع فنية كانت تنطق بنبوغة وعبقرية منها مدرسة اثينا وضع فيها خلاصة تاريخ الفلسفة والسر المقدس

ولخص فيها تاريخ الكنيسة بالإضافة الى مدرسة اثينا كان لديه لوحات عديدة ورائعة ومن اشهر لوحاته العذراء والمسيح والطفل، ومات روفائيل في عز شبابه قبل ان تستنفذ النهضة الفنية كل طاقاته.

حركة مارتن لوثر الاصلاحية (١٥٤٦-١٤٨٣م): (المحاضرة الرابعة)

ولد مارتن لوثر في مقاطعة سكسونيا الالمانية عام (١٤٨٣) انحداره الطبيعي من عائلة عمالية فقيرة فوالده كان عامل في مناجم النحاس ولم يحصل لوثر في طفولته ولا في البوت ولا في المدرسة على مايمكن ان يخلق لديه اي شك نحو الكنيسة فأفراد عائلته هم كاثوليك تقليديين تأثر في الكنيسة في شبابه بآراء الانسانيين الالمان الا انه لم ينتمي الى حركتهم ودرس القانون في جامعة ارفورت ثم بعد ذلك سلك الرهبنة فالتجا الى احد الاديرة التابعة الى طائفة القديس اوغسطين بقي في الرهبنة (٣سنوات) من (١٥٠٨-١٥٠٥) ثم بعدها عاد الى الدراسة فحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه في علم اللاهوت في جامعة ونبيرك وكان على اتصال باهل الفكر والراي بعدها سافر الى روما لأداء مناسك الحج وكان هذا في عام (١٥١١) فزار الاماكن المقدسة في روما والتقى بالبابا، وشعر بوجود تناقض بين المبادئ التي تدعو لها الكنيسة الكاثوليكية وبين واقع الحياة التي يعيشها كبار رجال الدين والبابا حتى انه البلاط البابوي كان بمثابة البلاط الإمبراطوري من حيث الابهة والفخامة فبدا مارتن يفكر بوجوب اصلاح الكنيسة الكاثوليكية.

وبعد عودته من روما أعلن ومن اعلى منابر الجامعة ان الكنيسة الكاثوليكية ورجالها لا يشكلون حلقة الوصل بين الخالق والناس ورد على دعاءات الاولى حول امكانية الكنيسة في نيل الغفران لمن تشاء وذلك بتفويض إلهي خاص كما كانت تدعي.

وكان الراي الاساسي لأفكار لوثر يدور حول مصير الانسان في الحياة الثانية فكان يؤكد ان خلاص الانسان في الاخرة انما يعتمد على ايمانه ونياته لا على الكنيسة وتعاليمها بمعنى اخر ان الانسان يمكن أن يتخلص من العقاب إذا تاب الى الله وأصبح قلبه عامر بالأيمان فان فلسفة لوثر في الاصلاح يكون الايمان فيها بالمركز الاول فان الحج الى روما والاحتفالات الدينية وايقاد الشموع هي في راي لوثر عقبات في طريق الخلص فالغفران هو الثواب.

والكنيسة لم تشعر بخطر هذه الافكار الا حينما تصدى لوثر في عام (١٥١٧) للراهب الذي ارسلته الكنيسة لبيع صكوك الغفران وذلك لجمع الاموال اللازمة بحجة تجديد وبناء كنيسة القديس بطرس ،فعملية بيع صكوك الغفران لم تكن مقبولة من قبل حكام المانيا ومثقفيها لان المانيا في تلك الفترة كانت تمر بأزمة اقتصادية فالمثقفين كانوا يعتبرون هذه الصكوك ضياع للثروة القومية لصالح روما والايطاليين في وقت تحتاج فيه المانيا لهذا المال لمعالجة مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية اما لوثر فكان ينظر للموضوع من ناحية عقائدية صرفة، وكان يعتقد الغفران لاياتي الا عن طريق الايمان برحمة الله ،معناه ليس من حق الكنيسة ولا البابا أو رجاله ان يمنحوا الناس الغفران لان الغفران هو هبة من الله الى التائبين، فاستغل لوثر

فرصة اجتماع الاهالي في كنيسة (روتتبرغ)في يوم (٣١ تشرين الاول عام١٥١٧) وهذا اليوم كان يسمى عند المسيحيين يوم الشهداء وذلك لاستشهاد المسيحيين الاوائل الذين عاصروا السيد المسيح (عليه السلام) فعلق لوثر على باب الكنيسة اعلان متكون من (٩٥) مادة تضمنت افكاره التي طورها فيما بعد، ومن جملة ما تضمنه هذا البيان الاعتراف بان الكنيسة لا تستطيع أن تخلص احدا من العقاب والمسيحي ينال المغفرة من الله عن طريق الايمان بالله وليس من الضروري بالأعمال الصالحة وليس هناك ما يدعوا لجعل الكنيسة واسطة بين الفرد والله لان التائب الحقيقي ينال المغفرة من الله دون ان يحصل على غفران الكنيسة.

ومن أخطر ما طرحه لوثر هو انه أشار الى انه ليس من حق البابا احتكار تفسير الكتاب المقدس لان كل انسان مدرك وعاقل باستطاعته بل ومن حقه تفسيره وفق ادراكه ومفهومه.

كما بشر بنقاط أخرى فأباح الزواج لرجال الدين واباح الطلاق وطالب بإخضاع رجال الدين الى السلطة الدنيوية والغى طقوس دينية مثل الحج الى روما وزيارة القبور ووجه نقد لاذع لحياة الترف التي كان يتمتع بها رجال الدين فالغى ضريبة العشر التي كانت تدفع للكنيسة.

اما وصفه بان الانسان تغفر له ذنوبه ويعتمد على ايمانه ونياته لا على الكنيسة وصكوك الغفران ، هذا الكلام بحد ذاته كان يشكل تهديد لسيادة الكنيسة وللوضع الخاص الذي كان يتمتع به رجال الكنيسة بالإضافة الى ذلك لوثر يؤكد في تاليمه الى الحياة الدنيا وتطرق الى قضايا دينية صرفه والى العديد من القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فاهتم بالتعليم والذي كان يجلب الناس اكثر الى جانب لوثر هو انه اعتبر التحرر من البابوية واجب قومي وسياسي للشعب الألماني من هنا تحولت اللوثرية الى حركة تعبر عن طموحات الالمان في التحرر من النفوذ الأجنبي .

ووصل الامر للوثر الى حد انه تجرأ وطالب بصراحة الى حمل السلاح ضد البابا ورجال الدين والذين شبههم بالسراق وقطاع الطرق فكان من الطبيعي ان يكون رد فعل الكنيسة على هذا الخطر قوي فاصدر البابا في ايلول (١٥٢٠) بيانا يندد بافكار لوثر ويهدده بالحرمان، لكن لوثر رد على المنشور بسلسلة من المقالات الجريئة والاكثر من هذا أنه قام بحرق المنشور البابوي علنا امام الناس في (١٠ كانون الاول ١٥٢٠) مما ادى الى صدور قرار بالحرمان اي عزله عن الكنيسة الكاثوليكية وحرمانه من بركاتها .

وبعد ذلك اتخذ المجمع الديني قرارا بإعدامه عام (١٥٢١) كما اصدر الامبراطور شارل الخامس امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة وملك أسبانيا اصدر امر بالقبض عليه وحرق مؤلفاته وحجز امواله فهرب لوثر بمساعدة صديقه امير سكسونيا وظل مختبأ في مقاطعة سكسونيا لمدة سنة.

ومنذ تلك اللحظة بدا مارتن لوثر يربط مصير حركته بمصالح الامراء وخططهم خلال وجوده في المقاطعة.

ترجم الانجيل الى اللغة الالمانية عام (١٥٢٢) واصبحت هذه الترجمة تحفة رائعة في الادب الالماني وقد اعتنق العديد من الالمان افكار لوثر وتجاوب الناس معها رغم انه امتاز بالأفكار المحافظة التي كانت تسيطر على أرائه حتى انه وقف منذ عام (١٥٢٢) وبكل صراحة ضد الحركات الثورية الجماهيرية.

انتشار اللوثرية:

اخذت اللوثرية تنتشر في المانيا بسبب كتابات لوثر فقد استمال لوثر الاتقياء اي المتدينين وذلك بما لهم من مساؤى الكنيسة كما استمال الوطنيين وذلك للتخلص من السيطرة الاجنبية ودفع الضرائب الى البابا الايطالي كذلك النبلاء والطبقة الوسطى بما يرجع اليهم من الثروة والسلطة على حساب املاك الكنيسة وثروتها الضخمة، ولما كان الامبراطور مشغولا بالحروب الاجنبية مع فرنسا في ايطاليا ومع العثمانيين في شرق اوربا لم يستطيع ان يقضي او يتصرف بمكافحة اللوثرية كما ان الامراء قبلوا باللوثرية وذلك لان الامبراطور كان متمسك بالكاثوليكية، فقرر الدفاع فروح الاستقلال والتخلص من الامبراطور والبابا بالإضافة الى مصادرة ثروة لكنيسة كان سببا اخر لانتشار اللوثرية بين الامراء والنبلاء وكان لوثر يتمتع بشخصية جذابة اهلته للقيادة فكان يكتب الرسائل الثورية وينشرها بشجاعة نادرة، كذلك اظهر مقدرة عظيمة في تكوين وحدة متراصة من جماعته فكان النبلاء ورجال الدين والفلاحين والطبقة الوسطى وقفوا يدا واحدة في تأييد اللوثرية، فثاروا ضد الكنيسة الكاثوليكية وبهذا الشكل انتشرت دعوته وهذا الامر شجع الفلاحين للثورة ضد النبلاء ورجال الدين املا في التخلص من الضرائب الفادحة.

حركة الإصلاح الديني في سويسرا (المحاضرة الخامسة)

الحركة اللوثرية وجدت لها انعكاس سريع بدول اوربا وسبقت سويسرا غيرها من البلدان في هذا المجال، فتسربت لها الأفكار الإصلاحية وكانت ظروف الإصلاح في المدن السويسرية مواتية اكثر منها في الكانتوتات (المقاطعات) كانت حياتها تعتمد على الغابات فتمكنوا الاقطاعيين من وضع حد لاستياء الفلاحين بينما التناقضات الاجتماعية في المدن اكثر حدة بسبب تطور العلاقات الراسمالية وكان ايضا استياء في المدن هو جمع المسلمين للعمال كمرتزقة في صفوف الجيوش الاجنبية وسكان المدن في سويسرا كانوا مهيأين بتقبل رياح الاصلاح يعني من الناحية القانونية سويسرا تابعة الى الامبراطورية الرومانية المقدسة لكن من الناحية الفعلية هي مستقلة فسلطة الامبراطور فيها ضعيفة ، والشعب السويسري مجزء لم يكن فيه حكومة مركزية ولا جيش موحد لهذا ظهر اختلاف وتباين بالعلاقات . والثقافة والعقيدة وزاد من صعوبة الاتصال والوحدة هو الاختلاف في الجيش واللغة، وبعض المقاطعات السويسرية بعضها ايطالية وبعضها فرنسية ففيها ولاءات متعددة كان الاتجاه العام عند الشباب السويسري هو العمل كجنود مرتزقة في الجيوش الاجنبية.

وهذا العمل له نتائج سلبية ابقت البلدان تحت وطأة التخلف وقلة الايدي العاملة المنتجة ومن الناحية الاجتماعية حصل تفكك اسري اجتماعي ومن الناحية السياسية ربما هؤلاء استغلوا من قبل الدولة الاجنبية التي عملوا في خدمتها والذي شجع هذه الظاهرة هو الكنيسة والبابوية.

وارتبطت حركة الاصلاح الديني في سويسرا بالمصلح (اولريك زونجلي ١٥٣١-١٤٨٤) هو من أصل الماني من عائلة غنية والده كان عمدة مقاطعة زيوريخ ودخل عدد من الجامعات الالمانية فدرس في جامعة (بازل وفينا) (٢٢) وتأثر بدراسات الانسانية وكان له علاقات مع ارازمس وكان قد تلقى ثقافة ارفع من لوثر غير ان آرائه الاصلاحية طرحها منذ عام (١٥١٦) وهو ايضا وقع عليه الاختيار (١٥١٢) ليكون مرشدا او واعظ ديني لعدد من السويسريين اتفقوا مع البابا للخدمة لديه كجنود مرتزقة في هذا العام سافر الى روما وهذه الزيارة اثرت على حياته فقد اطلع على مساوى كبار رجال الدين وشاهد ابناء بلده الشباب السويسري يقتلون في ساحات الحرب وهم مبتعدين عن اوطانهم وليس من اجل مصلحة الوطن ولهذا امتلئ قلبه كراهية لنظام جنود المرتزقة.

من الناحية الدينية تأثر الى حد كبير بأفكار لوثر فلهذا ظهر تشابه كبير بين هذين المصلحين وانتقد البابا والكنيسة الكاثوليكية وهاجم تعليمها وطالب بالعودة الى روح الكتاب المقدس ووقف ضد صكوك الغفران وعبادة الايقونات وعارض الترف في مظاهر الكنائس والرهبنة ودعى الى السماح للقسسة بالزواج وكان متطرف اكثر من لوثر في بعض آرائه فلم يشترط مثلا ان يكون للمبشرين لارائه من رجال الدين فحسب بل على العكس كان معظمهم من الناس العاديين واخضع الكنيسة لسلطة منتخبة وكان له فهم اعمق من لوثر بالنسبة للقضايا السياسية والاقتصادية فبدأ بمعارضة الكنيسة الكاثوليكية من منطلقات سياسية بالأساس فانتقد دور البابوية في استخدام السويسريين كمرتزقة في الجيوش الاوربية وهذا له اثار اقتصادية واجتماعية كثيرة على شعبه السويسري وشاهد بنفسه ما ينتظر هؤلاء من مصير اسود خصوصا عندما شاهد نتائج احدى المعارك لهذا وقف ضد خدمة السويسريين كجنود وبأسلوب اراد اثارة حمية السويسريين وعواطفهم وحقق نجاح في هذا وكان خطيب لامع وكان يعرف كيف يحرك العواطف بشكل مقنع.

حركة جون كالفن (١٥٦٤-١٥٠٩) :

ولد جون كالفن في فرنسا والده كان محامي عصامي اما والدته فكانت تنتمي الى عائلة متمكنة يعتبر نفسه منتميا الى البرجوازية، درس العلوم الدينية والقانون والفلسفة ودرس اللاهوت في جامعة باريس والقانون في جامعة اورليان فزاول التدريس.

كان مولع بالآدب وتاثر بآراء الانسانيين من الناحية الدينية وقع تحت تأثير افكار لوثر، في شبابه انضم الى اكثر اجنحة بروتستانية الرادكالية في بلاده عندما زاد الضغط على البروتستانت في فرنسا اضطر الى اللجوء (١٥٣٤) الى سويسرا الى مدينة (بازل) وبعد عامين اصدر كتابه المشهور (قواعد وتنظيمات الدين

المسيحي) وفي البداية كتبه باللاتينية ثم ترجمه الى الفرنسية فأهدى نسخة منه للملك الفرنسي (فرانسوال الاول) وذلك لكي يؤثر عليه بهدف فرض البروتستانيتة على فرنسا لكن الكتاب لم يحقق هذه الغاية، الا انه نال شهرة كبيرة وهذا الكتاب تضمن تفسير منطقي وواضح للديانة المسيحية من وجهة نظر البروتستانتية الاصلاحية وقد تحول هذا الكتاب فيما بعد الى اساس لكل المذاهب البروتستانتية حتى ان كالفن استحق عليه لقب (البابا البروتستانتي) وبعد اندحار الكنيسة الكاثوليكية في جنيف امام افكار زونجلي انتقل كالفن الى هذه المدينة التي كانت تعتبر مركز تجاري مهم استطاع كالفن ان يقف ضد البابوية والكنيسة الكاثوليكية وحتى ضد الافكار المتطرفة في حركة الاصلاح الدينية حتى انه امر بحرق احد الرهبان لان هذا الراهب انكر الوهية المسيح وكالفن مثل لوثر يشبهه في العديد من الآراء لكنه تطرق كثيرا إلى التمسك ببعض المظاهر وفي كبت المشاعر وطالب بالتقشف وحرم الملابس المزكرشة ووقف ضد استخدام العطور والاستماع الى الموسيقى ومنع الحفلات والمسكرات واغلق النوادي والملاهي وجميع ملاذ الحياة وفرض عقوبة الاعدام على كل من يرتكب الزنا والحرق للملحدين.

وامن الى حد كبير بالقضاء والقدر وافعال الانسان في رايه مقدرة من قبل وهي بذلك تكون خارجة عن أرادته بمعنى أخر عن موضوع الغفران، كالفن تطرق اكثر من لوثر فحسب رايه ان الغفران هو هبة من الله يقدرها لعباده منذ الازل بغض النظر عن اعمالهم وفضائلهم فالثواب والعقاب معناه هي مقدرة على الانسان منذ الازل وشاء الله حسب رايه ان يصيب بالخلاص بعض البشر وان تحل اللعنة على البعض الاخر اذا هو بهذا يكون اشبه احدى الفرق في الاسلام القدرية والجبرية يعني ان الانسان مسير وغير مخير اي ان الصفات واعمال الانسان وتصرفاته قد قدرت في لوح القدر منذ الازل والخيار ليس بيد الانسان لأنه مجبر.

اما بالنسبة للسلطة فكان ضد الاتجاه الديموقراطي الذي اعتبره اسوء اشكال الحكم ولكنه بنفس الوقت وقف ضد الارهاب واعطى المؤسسات بما فيها الكنيسة حق الخروج عن السلطة واعتبر رسالته رسالة عالمية على عكس زونجلي اقتصرت حركته في سويسرا فقط فالكلفنية بالإضافة الى سويسرا وانتشرت في فرنسا وانكلترا والاراضي المنخفضة وامريكا واجزاء من المانيا وبولندة وهنغاريا وقد التفت حول الكلفنية الاوساط البرجوازية الكبيرة التي رات فيها تعبير عن طموحاتها خصوصا الكلفنية كانت تشجع على العمل في المؤسسات فمبشريها العاملين بها كانوا يوجهون العمال بان بإخلاصهم في العمل سيكسبون رضا الله كما انه قلص ايام العطل وهذا الامر له اهمية كبيرة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان العطل الدينية في العالم المسيحي في العصر الوسيط كانت اكثر مما هي عليه الان والعمال كانوا يتمتعون في العطل في جميع الاعياد الدينية بالإضافة الى يوم الاحد في كل اسبوع بحيث لم يكن مجموع ايام العمل في السنة لا يتجاوز (٢٧٥) يوما بالإضافة الى كل ذلك شجع كالفن التجارة واعتبر النقد وسيلة من ان تحقق الرفاه في المجتمع

والذي ساعد على انتشار الكلفنية في الدول الاخرى هو ان كالفن نجح في تنظيم الحياة داخل جنيف بشكل لم يكن له مثيل على صعيد القارة الاوربية.

استطاع كالفن بمساعدة الذين وفدو له من مختلف بلدان اوربا ان يقيم في جنيف حكومة دينية (١٥٣٨) وبقي يرأسها حتى وفاته عام (١٥٦٤) واسس في هذه الحكومة (١٥٥٨) جامعة حتى تكون مركز لتخريج الدعاة والقساوسة البروتستانت وكانت حكومة جنيف في زمن كالفن حكومة ثيو قراطية اي ان كالفن هو الرئيس الديني والحاكم السياسي فلم يكن هنالك انفصال بين الدين والدولة وان اختلف كالفن مع لوثر في موضوع خضوع الكنيسة وكالفن يرى ان تخضع الدولة وجميع سلطاتها لتلك القلة التقية العاملة في سبيل المسيحية حيث يمكن اقامة مجتمع ديني يتصف اهله بحسن الخلق وبصفات القديسيين وتكون واجبات الكتاب المقدس وأراد كالفن من الحكومة التي اقامها في جنيف هو تطبيق عمل لمبادئه فنظام كالفن في جنيف لم يستمر طويلا" بسبب المعارضة التي قامت ضده نتيجة لصرامة الحكم وقسوة الكنيسة في تعاملها مع الذين لم يتفقوا مع الكلفنية في اراءها فاضطر كالفن الى مغادرة جنيف عام (١٥٣٨) لكنه رجع لها مرة ثانية بعد أن طالبه المواطنين بالعودة. وبعد ان تدهورت احوالها اثر خروجه منها وقد بقي كالفن حاكم ومبشر حتى وفاته (١٥٦٤) ولقت دعوته في فرنسا استجابة كبيرة وفي مطلع النصف الثاني من القرن السادس عشر التحق خمسة من عامة الفرنسيين الى الكلفنية وارتفعت هذه النسبة الى النصف عند الطبقة الوسطى والامراء فانتقلت الحركة الكلفنية في فرنسا من المرحلة السرية الى العلنية واقامت اول مجمع لكنيستها في باريس عام (١٥٥٩) ثم انتشرت في عدد من البلدان بالمجر وهولندا وبوهيميا والاراض المنخفضة واسكتلندا وانكلترا وحتى امريكا ولم تقتصر حركة الاصلاح الديني على المانيا وسويسرا وانما امتدت اثارها الى بلدان اوربية اخرى خصوصا" فرنسا وانكلترا الا انها اتخذت طابع سياسي اكثر وضوحا من البلدان الاخرى واثرت بشكل مباشر في سير الاحداث على المسرح السياسي.

الاستاذ. انوار ناصر حسن

المادة: تاريخ اوربا في عصر النهضة